

القرآن في رمضان

إعداد: د. عبد الله المعيدي

@almoaede

أيها المسلمون، أيام رمضان تاج على رأس الزمان، من رُحم فيها فهو المرحوم، ومن حُرِم خيرها فهو المحروم، ومن لم يتزوّد من عامه فيها فهو الظلوم الملوم، صعد رسول الله المنبر فقال: ((آمين، آمين، آمين))، فقلنا: يا رسول الله، إنك صعدت المنبر فقلت: آمين، آمين، آمين!!، فقال: ((إن جبريل عليه السلام أتاني، فقال: من أدرك شهر رمضان فلم يغفر له، فدخل النار فأبعده الله، قل: آمين، قلت: آمين)) [أخرجه ابن خزيمة وابن حبان] [٢].

فيا من فرطتم في شهر رمضان القائم، هل أنتم على يقين من العيش إلى رمضان قادم؟! فقوموا بحق شهركم، واتقوا الله في سرّكم وجهركم، واعلموا أن عليكم ملكين يصحبانكم طول دهركم، ويكتبان كل أعمالكم، فلا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم.

أيها المسلمون، إن أيام رمضان يجب أن تُعظّم وتُصان، وتُكرّم ولا تُهان، فهل حبستم غرضكم فيها عن فضول الكلام والنظر؟! وكففتهم جوارحكم عن اللهو والأشر؟! واستعددتهم من الزاد ما يصلح للسفر؟! يقول سيد الأنام: ((من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)) [أخرجه البخاري] [٣]، ويقول: ((رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش)) [أخرجه ابن خزيمة] [٤]، وقال جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه: (إذا صُمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم، ودع أذى الجار، وليكن عليك وقار وسكينة، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء) [٥].

يا عبد الله، جدّ القوم وأنت قاعد، وقربوا وأنت متباعد، وقاموا وأنت راقد، وتذكروا وأنت شارد، إن قام العباد لم تُر بينهم، وإن عُدّ الصالحون فلست معهم، ترجو النجاة ببضاعة مزجاة، فلا صلاة ولا مناجاة، ولا توبة ولا مصافاة، لقد باشر الصالحون ليالي رمضان بصفاح وجوههم، وقيام أبدانهم، ويا لها من خسارة لا تشبهها خسارة، أن ترى أهل الإيمان واليقين، وركائب التائبين وقوافل المستغفرين، قد

حظوا في ساعات الليل بالقرب والزلفى والرضوان، وقد رُميت بالطرد والإبعاد والحرمان، فاستدرك من رمضان ذاهباً، ودع اللهو جانباً، والحق بالقافلة، وتقلب في منازل العبودية بين فرضٍ ونافلة، واجعل الحياة بطاعة ربك حافلة، وحافظ على التراويح والقيام، فيما تبقى من الأيام، فقد قال رسول الله: ((من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)) [متفق عليه] [٦]، وقال: ((إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف حسب له قيام ليلة)) [أخرجه أبو داود وغيره] [٧].

أيها المسلمون، شهر رمضان شهر التلاوة والقراءة، وتدبر آي الفرقان، بمدارسة معاني الألفاظ، والرجوع إلى أهل العلم من القراء والحفاظ، وضبط المحفوظ بالمعاهدة والتكرار، والإكثار والاستذكار آناء الليل والنهار، كما أمر بذلك النبي المختار بقوله: ((استذكروا القرآن، فلهو أشد تفصيلاً من صدور الرجال من النعم بعقلها)) [أخرجه البخاري] [٨]، وقوله: ((تعاهدوا القرآن، فوالذي نفس محمد بيده هو أشد تفلتاً من الإبل في عقلها)) [أخرجه مسلم] [٩]، وقوله: ((إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعقلة، إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت)) [متفق عليه] [١٠]، وزاد مسلم في رواية: ((وإذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره، وإذا لم يقرأه به نسيه)) [١١]، وقد قيل: ما تكرر تقرر، وما لم يتكرر تفرّر.

أيها المسلمون، لقد شرفكم الله تعالى وتبارك بهذا الكتاب المبارك، فتدبروا آياته، وتفكروا في بيّناته، وقفوا عند عظاته، وإياكم والهدى والبد، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رجلاً قال له: إني لأقرأ المفصل في ركعة، فقال ابن مسعود: (هدأ كهذا الشعر؟! إن قوما يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع) [أخرجه مسلم] [١٢]، وقال رضي الله عنه: (لا تهذوا القرآن هذ الشعر، ولا تنثروه نثر الدقل، قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة) [١٣].

وللقرآن في رمضان مزية خاصة، ولذة يعرفها أهل القرآن ، وقد كان جبريل عليه السلام يلقي رسول الله في كل ليلة من رمضان، فيدارسه القرآن. [متفق عليه] [١٤]، وفي آخر عام من حياة سيد الأنام عارضه جبريل القرآن مرتين على التمام [١٥].

، ولهذا فقد عباد الله فقد اجتهد السلف في ختم القرآن في رمضان، لما نزل بعبد الله بن إدريس رحمه الله تعالى الموت بكت ابنته، فقال لها: "لا تبكين يا بنيه فقد ختمت القرآن في هذا البيت أربعة آلاف ختمة" [١٦]، وروى ابن أبي داود بسند صحيح أن مجاهداً رحمه الله كان يختم القرآن في رمضان فيما بين المغرب والعشاء، وكانوا يؤخرون العشاء في رمضان إلى أن يمضي ربع الليل.

وكان علي الأزدي يختم فيما بين المغرب والعشاء في كل ليلة من رمضان.

قال مالك: ولقد أخبرني من كان يصلي إلى جنب عمر بن حسين في رمضان قال: كنت أسمعه يستفتح القرآن في كل ليلة. [البيهقي في الشعب].

قال النووي: وأما الذي يختم القرآن في ركعة فلا يحصون لكثرتهم فمن المتقدمين عثمان بن عفان، وتميم الداري، وسعيد بن جبير رضي الله ختمة في كل ركعة في الكعبة. [التبيان: ٤٨].

قال الذهبي: قد روي من وجوه متعددة أن أبا بكر بن عياش مكث نحواً من أربعين سنة يختم القرآن في كل يوم وليلة مرة، ولما حضرته الوفاة بكت أخته فقال: ما يبكيك؟ انظري إلى تلك الزاوية فقد ختم أخوك فيها ثمانية عشر ألف ختمة. [سير أعلام النبلاء].

قال القاسم عن أبيه الحافظ ابن عساكر: كان يختم كل جمعة ويختم في رمضان كل يوم. [سير أعلام النبلاء].

الخطبة الثانية:

أيها المسلمون، شهر رمضان شهر العتق من النيران، شهر فكاك الرقاب من دار الشقاء والحرمان، والخذلان والهوان، فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله : ((لله عز وجل عند كل فطر

عتقاء)) [أخرجه أحمد والطبراني] [١٧]، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله :
(إن الله تبارك وتعالى عتقاء في كل يوم وليلة) يعني في رمضان. [أخرجه البزار] [١٨].

فاجتهدوا - يا رعاكم الله - ما استطعتم في إعتاق رقابكم، وفكك أبدانكم، وشراء أنفسكم من الله
جل جلاله.

أيها المسلمون، هذا أوان التوبة والاستغفار، والأوبة والانكسار، والتضرع والافتقار، هذا زمان إقالة
العثار، وغفران الأوزار، هذا شهر الإنابة، هذا رمضان الإجابة من الكريم لمن طرق بابه، يقول الله في
كتابه العظيم، وكلامه البليغ الوجيز: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا [التحریم: ٨].
اقصدوا باب التوبة تجدوه مفتوحاً، وابدلوا ثمن الجنة بدنا وروحاً، وأقبلوا على الله ما دام الأجل
مفسوحاً.

يا عبد الله، لو بلغت ذنوبكم كثرةً عنان السماء، وما انتهى إليه البصر من الفضاء، حتى فاتت العد
والإحصاء، لو بلغت ذلك تُبِّ ولا تتردد، فإن الله يتوب على التائب، ويغفر زلل الآيب، يقول رسول
الله في الحديث القدسي: ((قال الله تعالى: يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما
كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم،
إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة)) [أخرجه
الترمذي] [١٩]، وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله : ((إن الله ييسط يده
بالليل ليتوب مسيء النهار، وييسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها))
[أخرجه مسلم] [٢٠].